



الذهاب إلى الذكرى

خالد المعالي

(١)

كان الكلام يأتي
والذكريات أخذت من الدرب
من هناك، حينما أن بأن الحياة لم تعد تبدو
مضيئا، كلب الطريق يلهو ويعوي
والنجوم التي بحثنا عنها طويلاً
ملقاة كأحجار على جانب الدرب.

كان الكلام يأتي
والحياة التي دربناها
تستلقي فيها المصيدة.

أضاءت النار لنا أحلامنا
وأبعدتنا قليلاً عن الذكرى.

كانت الدنيا طريقاً
وفيه سرنا طويلاً
راحاتنا مرفوعة
وكلما وقفنا

أبعدونا عن الدرب
وأرجعنا غصباً إلى الماضي.

(٢)

لمن تجد الكلام، تأخذه من طريق
إلى طريق وتعيده إلينا لكي
تكون أوهاً منا هنا، أما منا، مطروحة
على صحن الذكريات.

لمن تجد الكلام، طريقك مفتوحة
وأوهاً ما كُتبت عليك
لتأخذ عبرةً وتنتقل.
هنا، أو هناك
كانت الذكريات تنتهي
لكي تصيرَ واقعاً.

حياتك تراثها يهيلُ من عل
وأنت تلوحُ علامةً للطيور.

(٣)

ليلتي التي لا جدار لها
كنتُ أستعيدها مرةً في الصباح
وأذهبُ تجاه خلوتي
نهاري الذي أعدته
ضاع بين شارعين
وراحت فكرتي، تجري من تلقاء نفسها.

هنا أعودُ أو أشدُّ خاطري
وأترك الظلالَ تسقط
كورقةً في الخريف.

هنا، كنتُ أستعيدُ حالةً

أو أحلمُ بسلمٍ لكي أصعد
تدفعني الظلالُ والرياح
ومن هناك، سأنظرُ
عابراً طريقي
ملوحاً للأوهام ذاتها
سائراً نحو بحيرة العدم.

(٤)

كم تعرفُ الآن أن الشجرة
التي إليها تطيرُ
لم تزل في مكانها، أزهارُها
تعلو في الهواء، لكي تنحطُ
على الدرب وتيبسَ.

كم تعرفُ الآن أنني في طريقي
كنتُ أحوط الظلال بعيني
وأمضي، ورائي تضربُ الريحُ
وروحِي كوهمٍ تطيرُ.

(٥)

ذهبتُ إلى الطريق
حياتي تدورُ هناك
أوهامي تلوحُ على الدرب
لكني أوقفْتُ الخطي
وغدتُ أدراجي
الأشجارُ ظللتني فنمتُ
حلمتُ كأني
ذهبتُ إلى الطريق
حياتي كانت هناك
وأوهامي تدورُ حول أوهامي
وتغفو.

كنتُ أجزُّ الخُطى
أمضي نحو أبوابٍ مغلقاتٍ
أدقُّ عليها
وأمضي إلى تلك الذكريات
لكي أشدَّ بأوهامٍ من خيوطٍ
وأجزَّ بالحبالِ نحو المصيدِ.

تلوِّحُ هذه الدنيا كالغراب
ناعقةً بأقداري
حيثُ كنتُ فيها أموتُ وأحيا
صوتي بعيداً وذكراي
ثُركتُ بدرِّبٍ مموّه.

(٦)

الحياةُ التي هنا
قدمت من البحر
أعدناها مراراً إليه
وكنا نعومُ ونصغي
على الشاطئِ العظيمِ
استرحنا بين أحجاره
ذبلنا وامتنا
ومن هناك هبَّت الرياحُ
علينا وتهنا.

الحياةُ التي هنا
قدمت من البحر العريض
حملوها من بعيدٍ إلينا
غرباء كانوا
ألَقوها على الرملِ وعادوا.

(٧)

لا بُدَّ يأتي إليك الألم

في النهار يأتيك
ياخذك إلى الطريق
وهناك في الإلتواء الشديد في الأعلى
يُريك الذكريات ويُريك الهاوية
وأنت مغمض العينين تتبعه
حولك تركته
ولم تبق فيك إلا قوة المشي وراءه
لا بد يأتيك
وأنت كالمأخوذ تلبستك الناعيات
في ماتم طویل للخيلقة.

(٨)

أبواب الهلاك هنا
مفتوحة على أطرافها
جئت إليها، في يدي مخزون العذاب
جئت حاملاً أكياس الذكريات
تكلمت، متيقناً من الوصول
غير أنها سُدَّت بوجهي
وأرجعت القهقري
يدي تلوح لطيير لا يحط
ونفسي تهجس من جديد
بالوصول.

(٩)

الكلمات تمرُّ
الحياة تتعكَّرُ
وعلى الطريق تموت.

عدتُ إذن، وكنتُ أخاف من الذكريات
عدتُ راجعاً
راحتي مرفوعة
رايتها بيضاء

والأوهامُ تكررُ من بعيد
وتبعُدُ
هنا، إذن، سنُفرشُ المائدة
الليلُ يُكوِّمُ
وُحُبسُ أنفاسه
النجومُ تدلّني إلى حفرتي
تسوي ترابها عليّ
وأنتهي.

(١٠)

هناك، بعدما عدتُ، ورأيتُ الظلالَ
قد أبعدتُ
أخذتُ تحت الشمس أستريح.

هناك، حينما جئتُ بعَلّتي
حلَّ الضبابُ، وكنتُ أنهضُ
طارقاً على الذكريات أبوابها
بيدي، ماشياً برهةً في الظلام.

إلى الصدى كنتُ أعودُ بفكرتي
ممسكاً بلجام حصانها
سائراً أمامه
والريخُ تذرّو على دربنا التراب.